

الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية

د. إبراهيم محمد أحمد بلولة*

مدخل:

علاقات العرب بالشعوب الإفريقية قديمة قدم التاريخ، وتعود هذه العلاقات إلى أكثر من ألفي سنة، وربما كانت العلاقة التي ربطت بين إفريقيا وسكان الجزيرة العربية أقدم من ذلك بكثير ومما يعزّز هذا الاعتقاد أنَّ إفريقيا ومنطقة شبه الجزيرة العربية كانتا تمثِّلان رقعةً أرضيةً واحدةً حتى انشطرت الأرض كجزءٍ من الأخدود الإفريقي العظيم، وأصبح البحر الأحمر يفصل بين المنطقتين. ورغم قيام هذا الحاجز المائي إلاَّ أنه لم يحُل دون الاتصال البشري. إلى جانب ذلك المنفذ تمَّ التواصل بين المنطقتين عن طريق شبه جزيرة سيناء وعن طريق باب المندب.

وقد أدَّى التَّشابه اللغوي والثقافي والعرقي بين السُّكَّان الناطقين باللغات الحاميَّة أو الكوشية ورصفائهم من الناطقين باللغات السَّامية إلى أن يُرجِّح بعض الباحثين أنَّ شُعوب هاتين المجموعتين قد عاشت في مكانٍ واحد، بل ربمَّا تنتمي في أصولها الإثنية البعيدة إلى شعبٍ واحد[1].

إنَّ هذه العلاقات القديمة توثَّقت وتطوَّرت مع ظُهور الإسلام وذلك ابتداءاً من القرن السَّابع الميلادي لقد مدَّ الإسلام العرب بسياجٍ عقائدي كما صارت اللغة العربية الوعاء الثقافي للدين الجديد. وأدَّى ظُهور الإسلام إلى دفع العلاقات بين العرب والشعوب الإفريقية . إلى آفاقٍ أرحب . فإلى جانب الصِّلات التِّجارية والهجرات البشريَّة المتتالية والسَّابقة للإسلام قام العرب بدورٍ نشطٍ في نشر الإسلام في ربوع إفريقيا.

---

* أستاذ مساعد بجامعة أفريقيا العالمية .رئيس شبكة معلومات أفريقيا بمركز الدَّعوة وتنمية المجتمع بجامعة أفرقيا العالمية.

(1) يوسف فضل حسن – التعاون العربي الإفريقي – بيروت – ١٩٨٢م – ص (١٣) .

الوجود العربي في إفريقيا:

إنَّ الوجود العربي في إفريقيا سابقٌ لانتشار الإسلام بها، فقد نقل المُؤَرِّخ الأمريكي دونالد وايدنر في كتابه (إفريقيا جنوب الصحراء): (أنَّ بعض البِيض كانوا يحكمون وادي نهر النيجر في الفترة ما بين القرنين الخامس والثامن الميلادي، وبعد ذلك أتى حاكم من قبيلة (الماندنجو) يُدعى (سنينكي) فأسَّس أسرةً حاكمةً زنجية[1].

كما وفدت إلى إفريقيا من ناحية الشرق شعوبٌ من القوقازيين ينطقون باللغة السَّامية قادمين من جنوب شبه الجزيرة العربية ومن مملكة سبأ، وكان كثيرٌ من التُّجار والمهاجرين يَعْبرُون البحر الأحمر بصفةٍ مستمرةٍ مُتَّجهين إلى مُرتفعات الحبشة في الألف الأولى قبل ميلاد المسيح، ثمَّ انتقلت مملكة سبأ وأقامت في القرن الرابع الميلادي مملكة أكسوم[2].كما أنَّ عدداً من البربر فضَّلوا الهجرة عبر الصَّحراء ليقيموا إلى جانب شاطئ الأطلنطي، وقد أطلق هؤلاء البربر اسم قبيلتهم (صنهاجة) أو السنغال على النهر الذي كانوا يعيشون على امتداده[3].

ويُعتبر البكري أول عربي يُشير إلى الأصول العربية في مملكة غانة القديمة، إذ يقول في كتابه (المغرب في ذكر إفريقيا وبلاد المغرب) (وبلاد غانة قومٌ يُسمَّون بالهنيهيين من ذُريَّة الجيش الذي كان بنو أمية قد أنفذوه إلى غانة في صدر الإسلام وهو على دين أهل غانة)[4] (هكذا).

ومن بين الهجرات التي أثَّرت على التشكيلة السُّكانية لمنطقة الساحل الإفريقي ما ذكره الدكتور إبراهيم على طرخان في كتابه (إمبراطورية البرنو الإسلامية) "وقد غزت هذا الإقليم هجراتٌ عربيةٌ من الشَّمال الشَّرقي. ومن المجموعات التي استقرت

---

(1) دونالد ل. وايدنر – تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء – ج١– مؤسسة سجل العرب– عام ١٩٧٦م – ترجمة شوقي الجمل وآخرون – ص (٢٦)

(2) دونالد ل. وايدنر – نفس المرجع – ص (٢٧) .

(3) المصدر نفسه – ص (٣١) .

(4) أبو عبد الله البكري – المغرب في ذكر إفريقيا وبلاد المغرب – الجزائر عام ١٩٧٥م – ص (١٧٩).

في منطقة تشاد مجموعة الكاتمبو وهي خليط من قبائل الصو والبربر والتي لها صلة قوية بقبائل صو البربرية من سكان هضبة التبستي من ناحية فزان ويقال لهم القرعان"[١].

كما وصل العرب إلى تشاد عن طريق النيل وعبر الصحراء من ناحية الشَّمال واستقروا حول بحيرة تشاد واختلطوا بالوطنيين وظهرت عناصر متميزة منها التنجور والبولالا على أنهم اشتهروا باسم شوي، الذين يتحدثون العربية حتى اليوم في شمال الكاميرون وشمال شرق نيجيرياوقديماً وصف ياقوت الحموي أهل كانم قائلاً : (وهم في زي العرب وأحوالهم). وفي مخطوطة عربية ترجع كتاباتها إلى الفترة ما بين ١٦٥٧م – ١٦٦٩م ورد أنَّ بعض جنود جيش عمر بن عبد العزيز جاءوا إلى برنو عن طريق اليمن واستطاعوا أن يكوِّنوا أسرةً مالكة[٢]. كما ذكر البكريُّ . وأورد ذلك ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان . أنَّ قوماً من بني أُميَّة هاجروا إلى كانم عند محنتهم أيَّام العباسيين[٣].

وما أورده ابن خلدون يُشكِّل جزءاً من علاقة عربية قديمة بمنطقة شمال وغرب إفريقيا، أمَّا الشَّواهد على الصلات العربية مع شرق إفريقيا، فقد بدأ التَّفاعل بين سكان سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي وشبه الجزيرة العربية ومصر منذ آماد بعيدة، ترمز لها هجرات العرب العاربة، وكذلك بعثة الملكة المصرية (حتشبسوت) إلى بلاد بُنْت Punt طلباً للعطور والبخور قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة عام. فتاريخ الصومال هو تاريخ التَّفاعل المستمر بين إفريقيا وشبه الجزيرة العربية، إذ كانت الصومال هي الأسبق في استقبال الدعوة الإسلامية، ومن المُرجَّح أنَّ ذلك يعود لعلاقات الصومال القديمة ببلاد العرب وبحكم وجود جاليات عربية على ساحل الصومال منذ انهيار سد مأرب وما تلا ذلك[٤].

أما الوجود العربي بعد الإسلام فيُؤَرَّخ له بهجرة الصحابة الأولى للحبشة في السنة الخامسة للبعثة، ويسجل ذلك ابن هشام في السيرة فيقول: فلمَّا رأي رسول

---

[١] إبراهيم على طرخان – إمبراطورية البرنو الإسلامية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – عام ١٩٧٥م – صفحات ٢٦-٢٩.

[٢] Polmer Bornu Sahara and Sudan. London

[٣] أبو عبد الله البكري – مرجع سابق – ص ٢٧.

[٤] محمد صالح أيوب – جماعة التحديث الاجتماعي في وسط إفريقيا – المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر – طرابلس – ١٩٩١م.

الله ﷺ ما يُصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمّه أبي طالب، وأنّه لا يقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه من البلاء قال لهم: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدقٍ حتى يجعل الله لكم مخرجاً ممّا أنتم فيه)، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الإسلام[١].

طرق القوافل عبر الصحراء الكبرى في بعض المصادر العربية:

لعبت الطرق التجارية العابرة للصحراء الكبرى أدواراً كبيرةً ومهمةً في تاريخ المنطقتين الواقعتين على طرفيها الشمالي والجنوبي، فقد تمّ عبرها التّبادل التّجاري منذ أقدم العصور ومع نشاط الحركة التجارية اتّصلت إفريقيا جنوبي الصحراء بحضارات العالم القديم المُطلّة على حوض البحر الأبيض المتوسط.

ومنذ الألف الأخير قبل الميلاد خرج نطاق التّبادل التّجاري من محيطه الدّاخلي في إفريقيا إلى حوض البحر الأبيض المتوسط الذي ساهم فيه الفينيقيون واليونان والرومان وقد خلّف لنا هؤلاء كثيراً من المعلومات التي تُعتبر من أقدم المصادر عن مسالك الصحراء والشّعوب القاطنة فيها ووراءها. وإلى جانب ذلك فهنالك بعض المصادر المحلية الهامّة عن الطرق الصحراوية، وهي عبارة عن النقوش والرسومات التي خلّفتها الشّعوب الصحراوية في فتراتٍ تاريخيةٍ مُتتالية[٢].

وقد تمّت دراسة الكثير من تلك الآثار فساعدت إلى حدٍّ كبيرٍ في تَتَبُّع طرق الصحراء وارتباطاتها القديمة بالمراكز والشعوب الإفريقية على حوض نهري السنغال

---

[١] أبو محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقّا وآخرون، السيرة النبوية، المجلد الأول، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، المجلد الأول، ص ٣٤٤.

[٢] أحمد الياس حسين – طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية جنوبي الصحراء الكبرى في المصادر العربية في القرن السّادس الهجري (العاشر الميلادي) – مجلة دراسات إفريقية – مركز البحوث والدراسات الإفريقية – جامعة إفريقيا العالمية – العدد الثّاني – ص ١٠٧.

والنيجر[1]. غيرأنَّ العصر الذَّهبي لمصادر الطُّرق في إفريقيا جنوب الصحراء يبدأ بدخول الإسلام في شمال إفريقيا، حيث استقرّ المسلمون في المغرب العربي منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وكثَّفوا اتصالاتهم بجنوبي الصحراء ما بين حوض بحيرة تشاد شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً وقد سجّلت كتب التراث العربي معلومات غزيرةً عن هذه المنطقة، تُعتبر من المصادر الأساسية لدراسة الطرق المؤدِّية إليها وعلاقاتها بالمغرب العربي وحوض البحر الأبيض المتوسط وقد تَضمَّنت تلك المعلومات الأنشطة الاقتصادية والثقافية والعلاقات الاجتماعية لسكان المنطقة والأنظمة السياسية التي سادت فيها. وقد جاءت هذه المعلومات في المصادر العربية الجغرافية القديمة التي درجت على تقسيم العالم إلى أقاليم، ثم دراسة الإقليم من جوانب متعددة مثل مظاهر السَّطح والمناخ والنبات والحيوان، والسُّكان بأنشطتهم الاقتصادية والثقافية والنظم السياسية ومن هذه المصادر:

اليعقوبيّ:أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح ٢٨٤هـ/٨٩٧م:

استفاد اليعقوبي من تجواله في شمال إفريقيا وبخاصة في الدول الرسمية التي كانت تسيطر على أغلب محاط الطرق الواقعة شمالي الصحراء، فجمع بذلك معلومات قيمةً ضمَّنها كتابه (**البلدان**) الذي انتهى من تأليفه في مصر عام ٢٧٨هـ/٨٩١م .

ويُعتبر اليعقوبي أول جغرافيّ عربيّ مدَّنا بمعلومات مباشرة عن الطرق الصحراوية، فأشار إلى طريق الذَّهب من سجلماسة إلى مملكةٍ غانة عبر المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى وتناول أيضاً الطريق الشرقيّ من فزان عبر كوار جنوباً إلى حوض بحيرة تشاد. ووضَّح نشاط الإباضية التجاري على هذا الطريق من مركزهم الصحراوي (مدينة زويلة)، وأشار إلى الأمم الإفريقية التي ارتبطت عبره. وأضاف اليعقوبيّ في كتابه (التاريخ) معلوماتٍ عن الممالك الإفريقية جنوبيّ الصحراء، فتحدث

[1] لوت هنري – الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى – في كتاب الصحراء الكبرى – مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية– عام ١٩٧٩م ص ٨–١٠٧ .

عن غانة واتِّساعها وجعل مملكة كانم ومملكة مالي ومملكة كوكو من أعظم ممالك السودان في ذلك العهد[1].

ابن الفقيه: أبوبكر أحمد بن إبراهيم ٢٩٠هـ/٩٠٣م:

انتهى ابن الفقيه من تأليف كتابه (**البلدان**) عام ٢٩٠هـ وقد كان الكتاب في خمسة أجزاء وتضمَّن معلومات عن مملكة غانة طريق الشرقي الذي يخرج من الواحات المصرية عبر كوار نحو النيجر ثم يتجه غرباً نحو غانة، كما أشار أيضاً إلى الطريق الغربي من السوس الأقصى إلى غانة. وفي المعلومات التي أوردها ابن الفقيه إضافة حقيقية إلى ما ذكره اليعقوبي والخوارزمي [2].

الخوارزميّ:

ذكر الخوارزمي بعض مراكز جنوب الصحراء مثل غانة وكوكو وزغاوة محدداً مواقعها بخطوط الطول ودوائر العرض. وبالرغم من اعتماده على بطليموس إلا أنَّه أضاف بعض المراكز الجديدة ولخريطة كبيرة وضَّح عليها خطَّ الاستواء وظهرت عليها مدينتا غانة وكوكو ونهر النيجر[3].

ابن حوقل النعيميّ أبو القاسم ٣٦٧هـ/٩٧٧م:

يُعتبر ابن حوقل من أشهر مؤلفي القرن الرابع الهجري الذين تناولوا مسالك الصحراء، فتركنا معلومات غنية في كتابه (صورة الأرض) الذي جمع مادَّته من إفريقيا أثناء تجواله واشتغاله بالتجارة. وقد وقف ابن حوقل على أحوال المنطقة فجاءت معلوماته دقيقة عن الجزء الغربي من الصحراء الكبرى، ويبدو ذلك من خلال وصفه أنَّ النَّشاط التجاري ربط المنطقة كلها ربطاً تامَّاً ما بين سجلماسة وأودغست

---

[1] اليعقوبي – تاريخ اليعقوبي – بيروت – ١٩٦٠م – ص (١٩٣).

[2] أحمد الياس حسين – طرق التجارة عبر الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى –كتاب الصحراء الكبرى – بدون تاريخ – ص (٢١٣).

[3] Trimingham .J,S: A history of Islam in West Africa - Oxford - 1970 - P.48.

غرباً حتى زويلة شرقاً وبين ارتباط سلع المنطقة بتجارة حوض البحر الأبيض المتوسط[1].

البلخيّ: أبوزيد حمد بن سهل ـ أوائل القرن ٤ هـ/١٠م:

وضَّح البلخي ّ في كتابه (صورة الأقاليم)معادن الذّهب التي وصفها بأنها قريبة من مدينة سجلماسة وتحدَّث قليلاً عن طريق الذّهب كما أشار إلى زويلة عبر المناطق الشرقية من الصحراء الكبرى، لكنه لم يتطرق إلى ممالك ومراكز إفريقيا(٢).

الإصطخريّ: أبو إسحق محمد إبراهيم ـ النصف الأول من القرن ٤هـ/١٠م:

ركّز الاصطخري ّ اهتمامه في كتاباته على ديار الإسلام، والقليل من المعلومات التي ذكرها عن الصحراء اعتمد فيها على البلخي ّ اعتماداً أساسياً وتوجد خريطة في (كتاب الأقاليم) ظهرت فيها مدينة زويلة(٣).

البكريّ: أبو عبد الله بن عبد العزيز ٤٨٧هـ:

تعرّض البكري بتفصيل دقيق للصحراء المغربية وغرب إفريقيا فتناول الطرق بمراحلها وأماكن وجود المياه والمخاطر التي تواجه القوافل وأورد تفاصيل وافية عن دور المراكز التجارية في النشاط التجاري. واعتمدت معلوماته على التجار الذين ارتبطوا في عصر المرابطين، خاصة في الفترة الأولى من قيام الدولة، ارتباطاً قوياً بين حوض نهر السنغال والأندلس، حيث ألّف البكري ّ في ذلك الوقت كتابه، بالإضافة إلى الوثائق الرسمية التي توافرت في الأندلس في ذلك الوقت عن غرب إفريقيا[4].

كتب طبقات الإباضيَّة:

---

[1] كراتشكوفسكس – أ،ي – تاريخ الأدب الجغرافي – ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم القاهرة ١٩٦١م – القسم أ – ص ٢٠٠–٢٠٤.

[2] نفس المرجع – القسم ١ – ص (١٩٨).

[3] نفس المرجع – القسم ١ – ص (١٩٨).

[4] ياقوت الحموي – معجم البلدان – طبعة الجزائر – ١٨٥٧م – ج٧ – ص (٣٠٢).

تميّزت طبقات الإباضيَّة بأنهَّا تضمَّنت سيرَ وأخبار الكثيرين من الفقهاء الذين تردَّدوا على الصحراء إلى الممالك الإفريقية منذ القرن الثالث الهجري، وقد ربطت أولئك الفقهاء صلاتٌ قوية بتلك المناطق، وكانت الدعوة إلى الإسلام من أقوى أسبابها .

وكانت التجارة عاملاً هاماً في تلك الصلات حيث مثَّلت التجارة المهمَّة الرئيسية لمعظم أولئك الذين أرَّخت لهم كتب الطبقات وكان أولئك يستقرون لفترات طويلة في مراكز وممالك جنوبيّ الصحراء ويتجوَّلون في الأماكن الداخلية من إفريقيا فارتبطت سيرهم بتلك الأنحاء.ويُعتبر كتاب (الورقاني أبي زكريا يحيي بن أبي بكر) (القرن الخامس الهجري)(١) وكتاب (الوسياني أبي ربيع عبد السلام ٤٧١هـ) من أقدم طبقات الإباضيَّة التي تضمَّنت أخبار الصحراء والأنشطة الثقافية والتجارية(٢).

ياقوت الحموي:شهاب الدين بن عبد الله ٦٢٦هـ/١٢٢٨م :

يعتبر ياقوت الحموي من أبرز كُتَّاب المعاجم الجغرافية في التراث العربي. وتناولت المادة التي تضمَّنها كتابه (معجم البلدان)معلوماتٍ كثيرة عن الطُّرق الصحراوية ومحطات التجارة والسلع. وشملت المعلومات التي ذكرها عن المراكز التجارية الأوضاع السياسية والثقافية والنشاط التجاري والمسافات بين المدن والمراكز. كما احتوى المعجم على معلوماتٍ قيِّمة عن دولتي كانم وكوكو ومدينتي أودغست والزغاوة، نقلها ياقوت عن المهلبي المتوفي عام ٣٨٠هـ[٣].

---

(١) السِّيَر وأخبار الأئمة – مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٩٠٢٠) – من أحمد الياس الحسين – مرجع سابق ص (١١٤).

(٢) سِيَر أبي الربيع – مخطوط بدار الكتب المصري رقم (٩١١٣) – من أحمد الياس الحسين – مرجع سابق – ص (١١٤) .

(٣) ور الدين حاطوم وآخرون – المدخل إلى التاريخ – المطبعة العصرية – ١٩٦٤م — الصفحات ٢٦٠-٢٦٢.

إبن الأثيري الجزري:أبو الحسن علي بن محمد ٦٣٠هـ/١٢٣٢م:

أُسندت لهذا المؤرِّخ المشهور مخطوطة تحمل اسم (تحفة العجائب وطرفة الغرائب)تناولت السودان الغربي ومراكز الذَّهب والسلع التجارية، إلا أنَّ المعلومات التي وردت عن طرق القوافل قليلة. وجاءت المعلومات عن مملكة غانة وكأنها في قمَّة مجدها. أمَّا المعلومات عن المنطقة الشرقية من غرب إفريقيا فقد وردت مختصرة(١).

القزويني:زكريا بن محمد ٦٨٢هـ/١٣٨٣م:

اعتمد القزويني على مصادره الخاصة من التجار والفقهاء الذين ترددوا على غرب إفريقيا، كما استفاد من المصادر السابقة مثل كتب ابن الفقيه وابن حوقل والبكري وابن حامد الغرناطي. والمعلومات التي وردت عن غرب إفريقيا لم تتناول كلَّ معابر الصحراء الكبرى والمراكز التجارية وتعرّض الكتاب فقط إلى مملكة غانة كمركز تجاري يدخل منه التجار إلى بلاد التبر، كما أشار إلى مملكة كانم ولم يتطرق إلى مملكة مالي(٢).

العمري:شهاب الدين بن أحمد بن يحيى بن فضل الله ٧٤٩هـ/١٣٤م:

سجّل العمري معلومات غزيرة ومهمة تناولت تفاصيل دقيقة عن مملكة مالي شملت الأوضاع السياسية، الثقافية، العسكرية، العمرانية والأنشطة التجارية مثل الأسواق والسلع والضرائب. وتحدَّث العمري عن مملكة كانم وانتشار الإسلام فيها واشتغال أهلها بالتجارة والزراعةلكن لم ترْقَ المعلومات التي وردت عنها إلى مستوى المعلومات عن مملكة مالي. وتناول العمري كذلك ممالك الصحراء شمال انحناءة نهر النيجر، وهي الممالك التي لم تجد عناية كبيرة في المصادر التي سبقتهوقد عزّز العمري كتاباته عن غرب إفريقيا في كتابه (**التعريف بالمصطلح الشريف**) حيث تناول فيه

(1) Cosmography (Tuhfat AL. Garaib) M.Kkalirpa Remarks on the Unidentified Falio Orienala . (1x1968) P.11.12.

(٢) أحمد الياس حسين – مرجع سابق – ص (٦٥).

أيضاً أخبار تلك الممالك مثل تكرور وغانة ومالي وبرنو فأورد تحديد مواقعها في الأقاليم وحدودها والأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية[1].

أبو الفداء:عماد الدين إسماعيل بن حمد بن عمر ٧٢٢هـ/١٣٣١م[2]:

تطرّق أبو الفداء في تاريخه (**المختصر في أخبار البشر**) باختصار شديد لشعوب غرب إفريقيا متحدثاً عن التكرور والكانم. وتحدّث عن مدينة غانة وتجارتها مع مدينة سجلماسة بالمغرب الأقصى. غير أنّه توسّع في تناول المنطقة في معجمه (**تقويم البلدان**).

إبن بطوطة:أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ٧٧٠هـ/١٣٦٨م :

من أعظم الرّحالة في العصور الوسطى وتُعدُّ المادّة الغزيرة التي سجّلها في رحلته من أهمّ المصادر لدراسة أوضاع المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة الواقعة ما بين الهند والمغرب الأقصى بما في ذلك غرب إفريقيا والصحراء الكبرى.

بدأ ابن بطوطة رحلته إلى غرب إفريقيا عام ٧٥٤هـ من مدينة سجلماسة المحطة الشمالية المهمة على الطريق الغربي في الصحراء الكبرى، والذي يمر جنوباً عبر تغازا وولاته إلى داخل مملكة مالي، وقد تعرّض إلى وصف الطريق الذي سلكه والمراكز والمدن التي مرّ بها حتى وصل عاصمة المملكة والتي دخلها ١٤ جمادى الأولى ٧٥٣هـ ومكث فيها حتى ٢٢ محرم ٧٥٤هـ فخرج منها مُتّجهاً نحو الشرق عن طريق نهر النيجر فزار تمبكتو[3]ثم اتجّه منها إلى مدينة كوكو وهي المدينة التي تردّد ذكرها في

---

[1]العمري – مسالك الأبصار في ممالك الأمصار – مخطوط ، دار الكتب المصرية رقم (٢٥٦٨) – تاريخ ورقه ٤٩٤ – من أحمد الياس الحسين مرجع سابق – ص (٦٨).

[2]أحمد الياس حسين – مرجع سابق – ص (٦٩).

[3]محمود كعت – تاريخ الفتاش في أخبار المدن والجيوش وأكابر الناس – طبعة انجي – ١٩١٢م – ص (١٧٨) .

المصادر العربية منذالقرن الثالث الهجري وقد عُرفت فيما بعد باسم جاو وأصبحت عاصمةً لدولة صنغي في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)[1].

اتجّه ابن بطوطة بعد ذلك شمالاً إلى مدينة تكدا المشهورة بإنتاج النحاس. وخرج من تكدا في الحادي عشر من شعبان ٧٥٤هـ في طريق عودته ماراً بكاهر وهكار إلى سجلماسة فمدينة فاس. وتناول . إلى جانب وصف القوافل والطرق البرية و النهرية التي سلكها – المدن والمراكز التجارية. فوصف النشاط التجاري والأسواق وما فيها من سلع محلية ومستوردة، وتعرّض لسبل كسب العيش في تلك المناطق وعاداتهم وثقافاتهم، وعكس حركة التعليم في مالي فذكر مثلاً أنَّ أهلها (يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه –يقصد القرآن- فلا تُفَكّ عنهم حتى يحفظونه)[2] وقد تعرّض أيضاً للمدارس والمعلمين والفقهاء ووضّح مكانتهم المرموقة في المجتمع ولدى السلطات الحاكمة. كما اتضح اهتمام الأمراء والحكام بالمكتبات وسعيهم للحصول على الكتب.

الدمشقي:شمس الدين محمد بن أبي طالب المعروف بشيخ الربوة ٧٢٧هـ/١٢٢٦م :

يمُثِّل كتاب الدّمشقي (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر)الحلقة الأخيرة في كتب العجائب التي اهتمت بغرب إفريقيا والصحراء الكبرى.فقد تناول الدّمشقي الصحراء الكبرى في الفصل الرابع من الباب الثاني تحت عنوان (وصف بلاد المغرب الصحراوية المتوسطة بين بلاد السودان والصحراء، وبين بلاد إفريقية البرية التي ذكرها)، تناول في هذا الفصل المراكز والمدن الصحراوية ما بين سواحل المحيط الأطلسي غرباً ومنطقة فزّان شرقاً فذكر بعض الأخبار عن سكانها وأوضاعهم الاقتصادية، كما تعرّض لطرق القوافل التي تمر بتلك المراكز والمدن للصحراء الكبرى.

---

[1] أحمد الياس –الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى كما عرّفها الجغرافيون العرب – رسالة ماجستير غير منشورة –كلية الآداب جامعة القاهرة الأم – ص ص (١٢٧، ٣٩٢)– من أحمد الياس مرجع سابق – ص (٧٠).

[2] ابن بطوطة – تحفة الأنظار – ص (٦٩٠) .

وفي الفصل الخامس من الباب الثامن تحدث عن غرب إفريقيا تحت عنوان (وصف بلاد السودان وأسمائها وبقاعها)فتناول كوكو وغانة وكانم، ويُلاحظ على معلوماته عن هذه المناطق أنهَّا اعتمدت على مصادر قديمة مثل الخوارزمي والمسعودي والإدريسي، فلم ينقل لنا واقع الحال في تلك المناطق في القرون اللاحقة لأولئك المؤلفين[1].

ابن خلدون:عبد الرحمن بن محمد ٨٠٨هــ/١٤٠٥م:

تناول ابن خلدون في القسم الجغرافي من مقدمته (**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر**) تناول منطقتي الصحراء وغرب إفريقيا في الإقليمين الأول والثاني، فتناول أوليل، غانة، تكرور، مالي، كوكو وكانم وتحدَّث عن حركة القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى. وركَّز ابن خلدون أيضاً على قبائل المُلثَّمين واستقرارهم في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى، وتحدَّث عن قبائل هوارة ومواطنهم في الصحراء شرقي المُلثَّمين، ووضَّح النشاط التجاري لتلك القبائل من مراكزهم الصحراوية مثل ورقلان وولاته ولوات ومركز فزّان[2].

وضَّح ابن خلدون مساهمة تلك القبائل الكبيرة في خدمة التجارة عبر الصحراء الكبرى كأدلاء للقوافل أو حرّاس لها مقابل ما كانوا يأخذونه من ضرائب تدفعها تلك القوافل.

وكانت تلك القبائل تخضع في بعض الأحيان إلى الدول التي قامت في شمال الصحراء الكبرى أو جنوبها لكي تُؤمِّن تلك الدول سلامة الحركة التجارية. واتَّضح أنَّ ممالك غرب إفريقيا كانت في أغلب الأوقات تبسط سيطرتها على مناطق واسعة داخل الصحراء الكبرى لتحقيق هذا الهدف. أمَّا معلومات ابن خلدون عن ممالك غرب

---

[1] أحمد الياس حسين – مرجع سابق – ص (٧١).

[2] ابن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر – بيروت – ١٩٦١م – ج٦ – ص ص (٣٧٠،٢٨٤).

إفريقيا فقد جاءت غزيرةً خاصةً عن مملكة مالي،بعد أن تعرَّض لغانة وكوكو وكانم، تضمَّن الحديث عن مالي و بداية تأسيسها كإمبراطورية واسعة في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وتناول تاريخ الأسرة الحاكمة فتحدَّث عن ثمانية عشر من ملوكهم حتى انتهى إلى (منسامغا)الذي تولىَّ السلطة عام ٧٩٢هـ[١].

وقد غطَّت كتابات ابن خلدون عن غرب إفريقيا - إلى جانب الأوضاع السياسية النواحي الثقافية والاقتصادية. واعتمد في أغلب مادَّته على مصادره الخاصة المتمثلة في بعض الشخصيات التي عاشت في غرب إفريقيا أو شخصيات من سكان غرب إفريقيا نفسها مما أعطى معلوماته درجةً خاصةً من الأهمية[٢].

القلقشندي:أبو عباس محمد بن علي ٨٢١هـ/١٤١٨م:

يُعتبر كتاب القلقشندي (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء) من المصادر الأساسية التي تضمَّنت معلومات مهمَّة عن غرب إفريقيا، وهي حتى من ناحية الكم تُعتبر من أغزر ما ورد في تلك المصادر.تعرَّض بإيجاز إلى قبائل الصحراء وملوك البربر، مثل سلطان (تادمكة) وسلطان (أهير)،وبينَّ أحوال ممالكهم وأوضاعهم الاقتصادية والثروات الحيوانية في الأقاليم ونشاطهم التجاري. كما تحدَّث عن النواحي الاجتماعية وعلاقات الممالك بدول إفريقيا وشماليها[٣]. وتناول القلقشندي ممالك غرب إفريقيا برنو،كانم،غانة، كوكو، تكرور ومالي فذكر رسوم المكاتب[٤].

هكذا جاءت المعلومات الغزيرة التي أوردتها المصادر العربية التي ذكرت في هذا البحث معبرِّةً عن الوصف الدقيق لطرق القوافل عبر الصحراء الكبرى، وأوضحت أثر هذه القوافل في إنتشار الإسلام بهذه المناطق. وقد أبانت بوصفها الدقيق أوضاع الحضارة الإسلامية التي كانت سائدة في تلك المناطق وكان تركيزها على ممالك مالي

[١] نفس المصدر - ج٦ - ص (٤١٥).
[٢] ابن خلدون - مصدر سابق - ج٦ - ص (١٧٧).
[٣] القلقشندي - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء - ج٥ - ص ص (٢١٠ ، ٢١١).
[٤] نفس المصدر - ج٨ - ص (٧).

وغانة وصنغي وما كان يدور فيها من مظاهر حضارية في أوضاعها السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

بداية العلاقات الإسلامية الإفريقية :

منذ أن دخل الإسلام إلى إفريقيا مع القوات الفاتحة بقيادة سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه في عام ٦٣٩م، وتاريخ القارة الإفريقية هو تاريخ الصراع بين الإسلام والمسيحية.ولكن طرفا الصراع بين هاتين العقيدتين ظلّ أساساً بين القوى المسلمة الإفريقية والدولة الإسلامية في المدينة حينما بدأت عام٦٢٠م. كانت المسيحية في إفريقيا متمركزةً في مناطق محدودة في شمال شرق إفريقيا وبالتحديد في مصر وتونس وكوش وإثيوبيا.

ومنذ بداية الدعوة الإسلامية اتخذت العلاقة مع مسيحي إفريقيا طابعاً ودياً فريداً، فالمقوقس زعيم القبط المصريين ردَّ على النبي ﷺودعوته للإسلام ردَّاً جميلاً وأرسل إليه هدايا. أمَّا نجاشي إثيوبيا فقد آوى أول المهاجرين المسلمين إلى مملكته حين اشتدَّ بهم اضطهاد الكفار من قريش في بداية الدعوة، وقد حفظ المسلمون لمسيحي إثيوبيا ومصر هذا الجميل وأوصى بهما رسول الله ﷺ به خير اً[1].

ولمّا انتشر الإسلام في شمال إفريقيا كان المسيحيون أول من رحَّب به، خاصةً الأقباط الذين اضطهدهم الحكام البيزنطيون لتمسكهم بوحدانية طبيعة السيد المسيح بعد أن انحاز البيزنطيون بعد مجلس شالسيدون في ٤٥١م إلى المذهب الملكي الرافض لعقيدة الطبيعة الواحدة. وقد أعطاهم المسلمون ذمَّتهم ومنحوهم حرية الاعتقاد والعبادة الكاملة.

وحينما وصلت جيوش المسلمين بقيادة سيدنا عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه إلى مشارف مملكة كوش في عام ٦٤٢م وقَّعوا مع ملك مملكة المقرة المسيحية

---

[1] محمد هاشم عوض – مراحل وأساليب انتشار الإسلام والمسيحية في إفريقيا – مجلة دراسات إفريقية – العدد ١٥ – دار جامعة إفريقيا إفريقيا العالمية للطابعة والنشر – الخرطوم – ١٩٩٦م – ص (٤٥ ، ٤٦).

معاهدة البقط الشهيرة التي كفلت للمسلمين حق الإقامة والعمل في المملكة، وكفلت لها معونة من الأغذية والحصين مقابل قدرٍ محدودٍ من الرقيق، والسلع كلها كانت تستعمل كنقود سلعية في المملكة في نفس الوقت.

واستمرّت العلاقات السلمية بين مصر المسلمة وكوش المسيحية لمدة ستة قرون بدون أي صدامات واعتداءات تُذكر.

وفي أقلّ من قرن من دخول المسلمين إلى مصر كان الفتح الإسلامي قد شمل كلّ الأراضي الإفريقية شمال الصحراء وتوغّل الفاتحون في ليبيريا. وفي ذلك الوقت كانت في جنوب الصحراء ممالك مسيحية كإثيوبيا وكوش، وفي شرق الحزام السوداني وأخرى وثنية مثل غانة ومالي وصنغي وكانم في غرب وأواسط الحزام. وقد كانت بين شمال إفريقيا المسلم وجنوب الصحراء المسيحي والوثني علاقات تجارية نشطة عن طريق القوافل العابرة للصحراء الكبرى، وعن طريق هذه العلاقات التجارية بدأت الدعوة الإسلامية تصل إلى شعوب جنوب الصحراء إلى أن بدأت الممالك في هذا الجزء من إفريقيا تتحول إلى الإسلام منذ القرن الثالث الميلادي[1].

وصول الإسلام إلى إفريقيا وانتشاره:

دخل الإسلام القارة الإفريقية من جهتين،وكان لكلٍّ جهة منهما مسارها وتكوينها وعمقها: شرق إفريقيا، وغرب إفريقيا.

أمّا شرق إفريقيا فمرجعه إلى اتصال الموانئ الإفريقية بالجزيرة العربية، ويمكن القول بأنّ الإسلام قد دخل إثيوبيا قبل أيِّ بلدٍ إفريقي آخر، وذلك عن طريق الهجرة الأولى في عهد النبي ﷺ، ولم تلبث الدعوة الإسلامية أن انتشرت على أيدي القبائل التي هاجرت إلى إرتريا، والصومال وإثيوبيا، حتى أصبح الإسلام هو دين الغالبية في هذه المناطق. والمعروف أنّ هذا الساحل. شاطئ الصومال وكينيا وتنجانيقا. كان مجال التجارة العربية، فلما جاء الإسلام واعتنقه العرب تحوّلت تلك المناطق إلى مرا كز

[1] محمد هاشم عوض –مصدر سابق – ص (٤٦) .

إسلامية على الشاطئ الشرقي الإفريقي تتحكم في طرق التجارة إلى داخل تنجانيقا وقلب الكونغو، وتمتد إلى بحيرة فكتوريا. وكان من نتيجة اتصال العرب بالأهالي أن ظهرت اللهجة السواحيلية، وهي مستمدة من اللهجات المحلية الإفريقية التي يتحدث بها أغلب شعوب القارة، وهي بذلك خليط من ألفاظ زنجية وعربية وفارسية وهندية[1].

ويُعلِّق المؤرِّخون أهميةً كبرى على الدفعتين القويتين اللتين قدمت إحداهما من الشمال والأخرى من عمان عن طريق الخليج العربي في القرن الثاني الهجري.

وقد اتجَّهت الأولى إلى إرتريا،والثانية إلى الصومال، وأثمرتا نجاحاً هائلاً، حيث تأسَّست (مقديشو) عام ٦٠م والتي شيَّدها عرب وفدوا من الأحساء على الخليج العربي. ومن الصومال نفذ الإسلام جنوباً إلى سواحل تنجانيقا وكينيا في القرن الثالث الهجري .

أمَّا منطقة غرب إفريقيا فقد انتشر الإسلام فيها عن طريق قبائل البربر المغربية التي اعتنقت الإسلام، وعن طريق غرب السودان، حيث يوجد خط القوافل التجارية المسافرة إلى غرب إفريقيا. ومن المغرب انتشر الإسلام في السنغال ومملكة غانة القديمة، وامتد إلى داهومي (توجو حالياً) وكذلك نيجيريا وسائر دول غرب إفريقيا التي انتشر فيها الإسلام عن طريق أهل المغرب، ولم يلبث النيجيريون أن أصبحوا دعاة للإسلام في ترحالهم على الأقدام للحج سنوياً مخترقين قلب إفريقيا إلى غرب السودان فشرقه، ثم عابرين البحر الأحمر، ومن غرب إفريقيا وسَّع الإسلام آفاقه وسط القارة الإفريقية.

وترجع أهمية التوسع الإسلامي في غرب إفريقيا إلى قيام دولة (المرابطين) في القرن الخامس الهجري، حيث تُوصف هذه الفترة بأنهَّا فترة انتعاش الإسلام، وكان أبرز مظاهر هذه الحركة الاندفاع نحو الجنوب إلى جبال أدرارس، ثم إلى بلاد موريتانيا ثم إلى نهر السنغال، حتى إذا كان القرن التاسع الهجري (١٥م) اتسعت حركة انتشار

---

[1] محمد عبده مخلوف – مجلة نهضة إفريقيا – عام ١٩٥٧م .

الإسلام واللغة العربية في هذه المناطق، ولم تلبث أن اتسعت في القرن العاشر الهجري حيث استطاع الإسلام أن ينتشر بين القبائل، ويحل ّ محل ّ الديانات الوثنية في السنغال، حيث اعتنق الإسلام حوالي مليون وثلاثمائة ألف من مليونين هم مجموع السكان آنذاك[1]. وفي مالي (السودان الفرنسي سابقاً) تأسَّست في القرن الخامس الهجري (١١م) دولة بربرية عن طريقها انتشر الإسلام في قبائل دولة مالي فلمَّا تولىَّ المغاربة حكم هذه البلاد زادت نسبة المسلمين فيها إلى أكثر من ٦٠%، وفي غامبيا وغينيا انتشر الإسلام انتشاراً هائلاً، وكان لقبيلتي الفولاني والإلمامية أثر كبير فأصبحت الأغلبية الإسلامية. وكذلك في إقليم النيجر قامت دولة إسلامية واسعة وأنشأ الطوارق سلطنة بربرية منذ القرن العاشر الهجري فانتشر الإسلام في هذه المناطق .

وفي هذه الفترة استطاع التجَّار المسلمون والدعاة المنقطعون للدعوة للإسلام إدخال العديد من القبائل الوثنية في الإسلام في تنجانيقا وكينيا وزنجبار، واستطاعت بعض هذه الأمم أن تجعل الإسلام دين الأغلبية فيها كما حدث في يوغندا. وكان للتجار العرب الوافدين من الخليج العربي أثر واضح في نشر الإسلام في جزر القمر وجزر المحيط الهندي (مدغشقر– سيشل البلوتبون – موريشص). حتى بلغ المسلمون في مدغشقر وحدها مليون نسمة آنذاك[2].

وكان للجاليات الإسلامية التي وفدت من الهند والملايو واستقرَّت في المناطق الواسعة الممتدة من رأس الرجاء الصالح في جنوب إفريقيا إلى كينيا شمالاً أثرها في نشر الإسلام. وقد بلغت ٥٠ ألف هندي وأربعة ألف ملاوي، حتى لقد اعتنق الإسلام سكان هذه المناطق من السود. وكان للتجارة أثرها الواضح في إدخال الناس في الإسلام نتيجة لهجرة العمال من قبائلهم التماساً للرزق.

---

[1] عبد الرحمن بدوي – مجلة نهضة إفريقيا – من أنور الجندي – العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي – دار الكتاب اللبناني بيروت – عام ١٩٧٩م – ص (١٤٤).

[2] عبد الرحمن بدوي – مجلة نهضة إفريقيا – من أنور الجندي –العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي و الثقافي – دار الكتاب اللبناني بيروت – ١٩٧٩م ص (١٤٤).

ويُرجع الكثير من الباحثين الفضل في انتشار الإسلام بين القبائل الزنجية في إفريقيا منذ القرن (١٨م) إلى نشاط الدعاة المسلمين، وقد وجد الزنوج في الإسلام الطمأنينة بفضل نظامه الاجتماعي وما يتمتعون في ظلّه من أمنٍ خلال أسفارهم للتجارة ويُسر فرائضه. والإسلام دين فطرة، سهل التناول، سهل التكيُّف والتطبيق على مختلف الظروف ولعلَّ هذا من أهمِّ العوامل التي سهَّلت اعتناق الوثنيين للإسلام.

وقد بدّل الإسلام مظاهر الحياة في البقاع التي دخلها، وأسبغ روح النظافة حيث يتميز المسلم عن بقية الناس بلباسٍ فضفاضٍ فضلاً عن تحريم لحم الخنزير.

لقد ساهمت حركة كثير من الأفارقة لأداء فريضة الحج وطلب العلم في القيروان وفاس والأزهر وفي مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة في نشر الدعوة والعلوم الإسلامية، ونهضت تلك البلاد التي أمَّها المسلمون الإفريقيون بشتى الأغراض بما ينبغي عليها من الوفاء الذي سجّله التاريخ من تيسير الرحلة وحسن الاستقبال وتيسير سبل العلم. بجانب تبادل المنافع التجارية، بل اختلطت دماء الإفريقيين السود بغيرهم من المسلمين مماَّ زاد الرابطة ووثّق العلاقة فأدَّى هذا كله إلى تجاوز شهرة المدن الإفريقية الزاهرة حدود القارة الإفريقية.

ومن أمثلة ذلك فقد ازدهرت مدينة تمبكتو في مجال التعليم ونشر الثقافة الإسلامية، إذ انتشر المرابطون في القرى يعلمون القرآن الكريم والكتابة العربية، وكان أبناء المشايخ يأتون إلى تمبكتو لتحصيل العلم، فلم تكن تمبكتو سوقاً للتجارة وسط إفريقيا فحسب، بل كانت دار علمٍ انتشر ذكرها حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط، وصارت هذه المدينة التي اختطت منذ عام ١٠٧٧م، مركزاً للدعوة

الإسلامية تَشعُّ منها إلى كل الجهات، ومنذ القرن الثاني عشر كان الإسلام قد انتشر في بلاد النيجر والسنغال الأعلى ووصل إلى بحيرة تشاد في القرن الثالث عشر[١].

كان لرحلة الحج فوائد كثيرة تركت علاقات مميزة في استمرار العلاقة بين غرب إفريقيا خاصةً ومركز العالم الإسلامي في مكة والمدينة المنوّرة، وقد ساهمت هذه الرحلة في تصحيح عقائد القبائل، فقد كان الحجيج يعود بعد أداء الفريضة، وهم أكثر وعياً وحماسة لدينهم بسبب ما كان يتم للدعاة المسلمين والعلماء والوُعَّاظ في مكة والمدينة.

كما أنَّ هذه الرحلة أصبحت وسيلةً من وسائل الاتصال، فقد كانوا يتصلون بالعلماء والمهندسين يأخذونهم إلى بلادهم لتطوير الإدارة بها، ولرفع المستوى الثقافي والعمراني، ومن أمثلة ذلك فقد سافر الساحلي المعماري الأندلسي مع متاموس حيث يشّد له مسجدين وقصراً في جاوة وتمبكتو على الطراز الأندلسي مما جعل هذا الطراز هو الغالب في تلك البلاد[٢].

روابط اللغة والدين:

١. رابطة اللغة العربية:

اللغة العربية واسعة الانتشار في إفريقيا وتُعتبر لغة أم لعددٍ كبيرٍ من الشعوب الإفريقية، كما تُعتبر لغة اتصال بين العديد من القبائل الإفريقيةً التي لا زالت تحتفظ بلغتها الخاصة، أمَّا اللغة العربية فهي لغة التواصل الأساسية بين القبائل الإفريقية في جنوب السودان، حيث لا تستطيع هذه القبائل استخدام أي لغة مشتركة فيما بينها غير اللغة العربية، وتُعتبر اللغة العربية الدَّارجة هي لغة التخاطب الأساسية لمجموعات كبيرة من القبائل الإفريقية، ففي يوغندا وكينيا وجنوب السودان تسود لغة تُعرف بـ (عربي جوبا) كل مفرداتها عربية، غير أنَّ طريقة استخدامها لا تلتزم قواعد اللغة

---

[١] محمد الأمين السنقيطي الجكني – رحلة الحج إلى بيت الله الحرام – دار الشروق – جدة – ١٩٨٣م – ص (٢٥٤ ، ٢٥٥).

[٢] حسين إبراهيم حسين – انتشار الإسلام في القارة الإفريقية – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٨٤م – ص (٢٢٥).

العربية، فضلاً عن التحريف في طريقة نطق واستخدام المفردات، وهي اللغة السائدة عند القبائل الإستوائية والنوبية[١].

أمَّا صلة اللغة العربية بلغات الفولاني والصومالية والسواحيلية والأمهرية وغيرها، فهي صلاتٌ وثيقة جداً، فالسواحيلية استعارت مجموعةً من المفردات العربية يُقدِّرها العرب السواحيليون بحوالي ٧٥% من مفردات السواحيلي. وفي مجال الدين فإن ٩٠% من المصطلحات مستعارة من اللغة العربية[٢].

عَرفت اللغة العربية طريقها إلى إثيوبيا قبل الإسلام حيث اختلط التجار والمهاجرون العرب بالأحباش وصاهروهم، وتحولت اللغة السبئية إلى لغةٍ عُرفت باسم (القيز Geez)[٣].

ظلَّ الحرف العربي هو الأساس الذي كُتبت به معظم اللغات الإفريقية فالسواحيلية والصومالية والفولانية والهوسا، ظلّت حتى عهدٍ قريبٍ تُكتب بالحرف العربي، وهناك مخطوطات عديدة مكتوبة بهذه اللغات محفوظةً في عدد من خزانات الكتب في البلاد الإفريقية. وكانت اللغة العربية هي لغة الحكم والإدارة في معظم الدول العربية، ولم تكن معظم الدول الإفريقية إن لم نقل كلها تعرَّضت إلى لغةٍ أوروبية قبل دخول الإستعمار، فما أن رحل الاستعمار حتى أصبحت هذه الدول تتبنى لغة الدولة المُستعمِرة، فالمكاتبات الرسمية في دول مثل كانم، ودَّاي، سوكوتو، مالي، غانة وغيرها كانت جميعها تكتب باللغة العربية حتى سقوط هذه الدويلات بسبب الحملة الاستعمارية الجائرة على إفريقيا[٤].

٢. رابطة الدين الإسلامي:

---

(١) كمال محمد عبيد – آفاق الاستثمار الثقافي في إفريقيا – من الأنترنيت – موقع شبكة المشكاة الإسلامية – ١٤٢٥هـ – ص (٥).

(٢) عبد الرحمن أحمد عثمان – المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية – دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر – الخرطوم عام ٢٠٠١م – ص (٥٠).

(٣) ياسر عبد القادر – التغلغل الصهيوني في إفريقيا – دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر – الخرطوم –عام ١٩٩٨م – ص (١٩).

(٤) كمال محمد عبيد – مرجع سابق – ص (٦).

لعل أقوى الروابط التي تدعو إلى الدعم والتكافل هي رابطة الدين، ويمكن الإشارة إجمالاً إلى أنَّ انتقال الإسلام عبر الصحراء الكبرى إلى الجزء الجنوبي من إفريقيا الغربية لم يتم إلا بعد أن أُمِّنت الطرق الصحراوية بإسلام الملثمين وحفر الآبار للري كما فعل عبد الرحمن بن حبيب الفهري (١٢٧- ١٣٢هـ)[١] ، ثمَّ قامت دولة الأدارسة وبذلت جهداً كبيراً في سبيل نشر الإسلام في الصحراء الكبرى، أمَّا الفتح الكبير فقد جاء للإسلام على أيدي قبائل الملثمين نتيجة للاتصالات التي قام بها يحيي بن إبراهيم بالجدالي بعبد الله بن ياسين الذي أنشأ له رباطاً في جزيرة عند مصب نهر السنغال واستولى أتباعه منها على إمبراطورية غانة (١٠٧٦- ١٠٨٧م) فوجدوا أنَّ بها أحياء للمسلمين.

وتعتبر مملكة مالي الإسلامية هي ثالثة الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا تأريخاً ولكنها أوسعها شهرةً، وأسلم أول ملوكها (ماري جاطه) المشهور عند العرب بـ (برمانده) حوالي عام ٦١٠هـ/١٢١٤م، أمَّا أعظم سلاطينها على الإطلاق فهو (مانسا موسى كنكن ١٣١٢م ١٣٣١م) إذ بلغت دولة مالي الإسلامية في عهده ذروة مجدها وقوة اتساعها فملأت شهرته الآفاق بموكب حجه المهيب ١٣٢٤م، وتذكر المصادر أنَّه كان بصحبته خمسمائة عبد في يد كل عبد عصا من ذهب في كل منها خمسمائة مثقال[٢].

وعلى هذا النسق أو قريب منه نشأت العديد من الدويلات الإسلامية على طول الساحل الصحراوي جنوب المنطقة العربية فمنها مملكة صنغاي، سكتو، برنو، ودَّاي، تقلي، سنار، المهدية ودول الطراز الإسلامي. وفي هذه المنطقة أيضاً نشأت العديد من المراكز الثقافية التي طبَّقت سمعتها الآفاق مثل تمبكتو، جنى، سكتو، كانم،

---

[١]علي عبد الله الخاتم – الإسلام في السودان الغربي – مجلة دراسات إفريقيا – العدد الأول – ص (١٩٠).

[٢]علي عبد الله الخاتم – مصدر سابق – ص (١٨٩).

ودَّاي، الفاشر، سنار، إيفات، عدل، هادية، فتأجار وبالي[١]. واشتهر بها علماء حبسوا أنفسهم على العلم من أمثال أحمد بابا التمبكتي والسعدي ومحمود كات[٢]، وآخرين عملوا فأسسوا دولاً إسلامية قائمة على مبادئ إصلاحية مثل عثمان دان فودي وعمر بن سعيد تال الفوتي ومحمد الأمين الكانمي ومحمد احمد المهدي، وقد أثرى هؤلاء وأولئك المكتبة بالعديد من المؤلفات التي تعد من أصول العلوم الإسلامية، كما أثرى العاملون منهم التجربة الإسلامية في الأحكام السلطانية والحسبة والإدارة.

مقاومة الاستعمار لحركة الإسلام في إفريقيا:

إنَّ الاستعمار في إفريقيا قد حرص على أشياء هامة، في مقدمتها : طمس معالم الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي بها حتى لا يستطيع المسلمون التعرف عليه، وإقامة دعوى خطيرة بأنَّ هذه البلاد كانت مجهولة وغير متحضرة، وأن رجال الاستعمار الأوروبي أمثال (لفنجستون وبيكر واستانلي) هم الذين اكتشفوها، مع أنهَّا كانت مكتشفةً فعلاً، وللمؤرِّخين والرَّحالة المسلمين أبحاث مسجلة عنها، وكذلك عمدوا إلى نقل التراث الإسلامي إلى العواصم الأوروبية رغبةً في إخفائه والقضاء عليه، ثم مضى الاستعمار فحمل على التجار العرب في أنحاء إفريقيا . والذين كانوا يحملون معهم الإسلام . حملاتٍ عنيفة متهماً إياهم بأنهَّم تجار رقيق. وبذلك وضعت قيوداً على تنقلاتهم حتى تفسح المجال للبعثات التبشيرية التي تدفقت على مختلف الأماكن تبني مدارسها وكنائسها ومستشفياتها وتحاول إغراء المسلمين قبل إغراء الوثنيين بتقديم خدماتها.

والمعروف أنَّ المنظمات الإسلامية قد خاضت معركةً مريرةً مع الغرب وقواته ومراكز تبشيره وتسابق الطرفان مع المبشرين الذين تسندهم الأموال، أيهما يكسب

---

(١) الأمين عبد الكريم – الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية في إثيوبيا – مجلة دراسات إفريقية – العدد الأول – ص (٤٩).

(٢) علي عبد الله الخاتم – مرجع سابق – ص (١٩١).

مزيداً من الزنوج الوثنيين. وقد استطاع الإسلام أن ينتصر في هذه الحرب.وتطرّق الدعاة المسلمون إلى أقاليم لم يكونوا قادرين على أن يبلغوها من قبل، وكسبوا الملايين إلى الإسلام. وأحرزت هذه المنظمات نصراً بعيد المدى على المنظمات المسيحية رغم أموالها وسلطانها، ولمّا بدأت قبضات المستعمرين في إفريقيا تتهاوى ولاحت نُذر التحرُّر تطلّع الإفريقيون إلى الفكاك من الأسر، فكانت الجماعات المسلمة هي الخمائر التي خرجت منها صيحات التحرر، حيث لعبت الجمعيات الإسلامية دوراً هاماً في قيادة الحركة الاستقلالية في غرب إفريقيا وشرقها، وأسهم الزعماء المسلمون بدورٍ فعّالٍ في تقدم الحركة الاستقلالية. واشترك المسلمون في المنظمات السياسية وأقبلوا على التعليم وأسهم الإسلام بنصيبٍ كبيرٍ في تحقيق الوحدة الإفريقية[1].

ويرى د.جمال حمدان أن عدد المسلمين في إفريقيا اليوم يعادل عدد العرب في مجموعهم وأن إفريقيا أكبر القارات في نسبة الإسلام ، وقد تمددت أطراف الإسلام منها إلى كل ركن وصقع في القارة ، ويصف حركة الإسلام في إفريقيا (بالثورة الصامتة التي تكتسح القارة تحت ناظرينا) وعنده أن الإسلام في حدود انتشاره في إفريقيا يرتبط بكل أنواع البيئات المختلفة وأن هذا النمو على كافة المستويات يكذّب ما ذهب إليه البعض من أن الإسلام دين الرعاة أو دين الصحاري أو دين السهول، فهو دين الرعاة والصحاري والسهول جميعاً . والإسلام يمثل اليوم كل وحدة سياسية في إفريقيا [2].

وعنده أنَّ الإسلام قوة لاحمة سياسية، فهو جسر امتدَّ بين إفريقيا العربية وإفريقيا الزنجية ويمثل قاسماً مشتركاً أصغر بينهما بِرَدِّ خُرافَة (زنوج وعرب) وسيظل الإسلام يزحف في آسيا المدارية وينتقل من نجاح إلى نجاح. ويؤكد الباحثون أنَّ الإسلام في إفريقيا يتحرك في فراغ ديني وأنَّه يعمل دون صراعٍ مع المسيحية ولا

[1] حسن محمود – الإسلام والثقافة العربية .

[2] جمال حمدان – الإسلام في إفريقيا – مجلة المجلة – نوفمبر ١٩٦٣م

يصادمها، وإنمَّا يتخذ مجال عمله بين الوثنيين. والظاهرة الواضحة أنَّ التبشير قد ارتبط بالنفوذ الأجنبي والاستعمار الأوروبي، وأنَّ تناقضات المذاهب وصراعها قد قلَّل من أهمية التبشير نفسه، بينما يبدو الإسلام بسيطاً وسمحاً .

وقد أصبح الإفريقيون يقرنون بين المسيحية والاستعمار، ويرون أنَّ المسيحية دين البيض. ومن هنا فإنَّ الإسلام يكاد يكون محتوماً كدين للمستقبل، ويشير الدكتور حمدان حين يقول:(بما سجَّل التاريخ قريباً أنَّ تحرُّر إفريقيا كان معناه موجة حديثة في إنتشار الإسلام. وقد تصبح إفريقيا قارة الإسلام بالضرورة)(١).

ونجمل القول بأنَّ الاستعمار قاوم الإسلام والثقافة العربية واللغة العربية جميعاً خلال أكثر من قرن كامل في نفس الوقت الذي شقَّ فيه الإسلام طريقه، وتوسَّع حتى أحاط بالقارة إحاطة شاملة، وفرض نفوذه الفكري والثقافي والاجتماعي كتيار تقدمي واضح الأثر..

شهادة من أهل الغرب:

يعترف (هوبر ونشان) مؤلف كتاب (**الديانات في إفريقيا السوداء**) وهو أحد حكام المستعمرات الفرنسية (بأنَّ إنتشار الدعوة الإسلامية لم يقم علي القهر والتسلُّط بل قام على الإقناع لأنَّ الذين قاموا به كانوا مشايخ متفرقين لاتحوطهم قوة، أو تحميهم دولة، إنمَّا كان الإخلاص دافعهم إلى إظهار محاسن الإسلام وسماحته، وقد يسَّر إنتشار الإسلام، أنَّه دين فطرة سهل التناول خالٍ من التعقيد لا يفرض على المسلم طقوساً ما. بل لا يتطلب سوى النطق بالشهادتين، ولذلك كان التجار والمسلمون من الديولا والهوسا يحملون بذور الدعوة الإسلامية في سماحة ويسر. بل إنَّ الإسلام خالف ظنَّ المبشرين والمراقبين الغربيين الذين كانوا يظنُّون أنَّه لا يستطيع الإنتشار إلا في مناطق الشمال حيث تكثر الفيافي والقفار، دون أن يستطيع اجتياز

(١) نفس المصدر .

حاجز الغابات الحادة في الجنوب والتوسع في أوساط سكانها، فإنَّ تقدُّم الإسلام في سيراليون وساحل العاج وغانا وتوجو أثبت بما فيه الكفاية كم كان ذلك الإعتقاد بعيداً عن الصواب)[١].

وقد شهد بورورت سمث في كتابه (Mohamed and Morpmmedons) الذي أوضح كيف انتشر الإسلام سريعاً في إفريقيا وكيف اجتاح اغلب دول إفريقيا دون مقاومة تذكر وكيف امتدت موجة الإسلام جنوباً إلى الشمال الغربي من مراكش حيث بلغت في زمن الفتح (النور ماندي) تخوم (تمبكتو)، ووطت شرقاً وجنوباً حتي بلغت في القرن الثالث عشر هجري (١٩م) بحيرة تشاد التي تصافح ضفافها العرب القادمين من الشرق مع إخوانهم القادمين من الغرب. وقال (إنَّا لنسمع عن قبائل بأسرها، تطرح جانباً الوثنية والشعوذة وعبادة الشيطان لترقي إلى أعلى مستويات العقيدة الدينية). وقد لاحظ المسافرون الغربيون . رغم كل رغبة من جانبهم في عكس ملاحظاتهم . أنَّ الزنجي الذي يعتنق الإسلام لا يلبث ان يجتلي شعوراً بالعزة والكرامة الانسانية لا تلمس مثلها عادة بين هولاء الذين ينضمون إلى غيره، ونقول نحن متأكدون من جميع النواحي أنَّ للسكان المسلمين رغبة عاطفية في التعليم وحيثما يوجد عدد من المسلمين يسرعون إلى إنشاء مدارسهم الخاصة، ومنهم غير قليل يقطعون المسافات الشاسعة للحصول علي أفضل تعليم[٢].

ويلاحظ مراسل صحيفة (ذي واشنطون) بوست أنَّه في خلال هذا القرن قد تحولت قرى بأكملها إلى الإسلام في بحر سنوات قليلة، ففي بوركينافاسو (فولتا العليا) سابقاً اعتنق (موغانايا) ملك الموسي الإسلام مع مئات من رعاياه. ومنذ الحرب العالمية الثانية تقدَّم الإسلام تقدُّماً مماثلاً في ليبيريا وساحل العاج والكنغو، ويوجد الآن في السنغال وغامبيا وغينيا ومالي وموريتانيا والنيجر وتشاد أكثر من ٨٠% مسلمون ونفس الشئ تجده في بقية دول شرق إفريقيا ولعل أسباب تفوُّق الإسلام

[١] هوبر ونشان – الديانات في إفريقيا السوداء – من أنور الجندي – مرجع سابق – ص (١٤٨).

[٢] روبروت سمث- Mohamed and Morpmmedons – من انور الجندي – مرجع سابق – ص (١٤٩).

إلى أنَّه أكثر بساطة. إذ ليس فيه أسرار مذهبية أو تعذيب للضمير فالإعتقاد بالله الواحد وتمجيد نبيه هما الشرطان الأساسيان في الإسلام، فضلاً عن أنه يجيز تعدد الزوجات.

وقد لاحظ جنتر في تطوافه في إفريقيا حسبما سجله في كتابه: (داخل إفريقيا) أنَّ أهمّ عوامل انتشار الإسلام أنَّه ليس فيه تمييز عنصري، ومن ثمَّ لايقوم حاجز يمنع تحول البانتو أو الزنوج إلى رحابهوقد انتشر انتشاراً شاملاً عميماً بين عبادّ الأوثان والحيون لأنَّ شعائره مبسطة للغاية، وترجع أهمية الإسلام في نظر الإفريقيين إلى أنَّه نظام اجتماعي كما هو دين يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة بين جميع المؤمنين.

ولقد أشار (ولفر هامبتون) في بحث له نشرته جريدة التايمز عام(١٨٨٧م) نتائج انتشار الإسلام فقال: (أنَّه عندما تدين به أمَّة من الأمم الإفريقية تختفي من بينها في الحال عبادة الأوثان، وتحرِّم أكل لحم الإنسان ووأد البنات، وتضرب عن الكهانة وتأخذ أهلها في أسباب الإصلاح وحب الطهارة، ويصبح عندهم إكرام الضيف من الواجبات الدينية وشرب الخمور من الأمور الممنوعة، ولعب الميسر، والأزلام محرمة، والرقص القبيح ومخالطة النساء اختلاطاً دون تمييز منعدمة، ويرون عفَّة المرأة من الفضائل، أما الغلوّ في الحرية والتهتُّك وراء الشهوات البالية فلا تجيزه الشريعة الإسلامية، والإسلام هو الذي يعمِّم النَّظافات ويقمع النفس عن الهوى ويحرّم إراقة الدماء والقسوة في معاملة الحيوان والإنسان ويحض على الخيرات، ويقول بالإعتدال في تعدد الزوجات، وزيادة على ذلك فالإسلام عفيف بالكلية عن الشركات الدينية والتجارية وفي غنى عنها.والتجارة الأوروبية تمُهِّد وسائل المسكرات، وتسوم الشعوب خسفاً وإذلالاً ، والإسلام ينشر لواء المدنية القائلة بالإحتشام في الملبس والنظافة والإستقامة وعزة النفس)[1].

[1] أنور الجندي – العالم الإسلامي والإستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي – مرجع سابق – ص (١٥٠).

وفي نفس العام يكتب جوزيف توميسون في التايمز عن انطباعاته بعد رحلة إستكشافية في قلب إفريقيا: إذ بلغنا غربي إفريقيا والسودان الاوسط نجد الإسلام كجسم قوي تدب فيه روح الحياة والنشاط، وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام، وكما كان في أيامه الأولى فترى الناس يدخلون أفواجاً أفواجاً ، وتقبل عليه بإقبال عجيب يشبه أيامه السالفة، ترى أشعة نوره منبعثةً من شوارع سيراليون، وآخذةً في إنارة بصائر القبائل المنحطّة في وهاد الجهالة الآكلة للحوم البشر عند منبع النيجر، رأيت أنّ أعظم فتوحات الإسلام في أواسط السودان وغربه كانت على يد جماعة سليمي الطوية منخفضي الجناح، وكان قائماً بنشره واتساع دائرته رجل يُدعي (فولاني) وكان يفترش الارض ويلتحف السماء).

وفي الأزمان الحاضرة كان القائم بأمره تاجراً ذا همَّة وإقدام يقال له: (هوذا او نوبيه) وفي أوائل القرن الثاني عشر (١٨م) كان ذاك الراعي يجهد نفسه في نشر لواء ديانته من بحيرة تشاد إلى المحيط الأطلنطي، فحصل من ذلك أن أشرقت شمس الإسلام في سماء هذه الجهة بأجمعها. وظهرت في أواخر القرن الماضي عدَّة فئات من المسلمين لم يكن يعوزهم إلا رئيس يحمي ديارهم، ويدفع عن هذه البلاد غائلة الوثنية، فلما قُيِّض لهم في هذا الجيل رجل يسمونه (فوديو) لم يمض غير قليل زمن حتى ساد الإسلام، وامتدَّ جناح سلطانه بسرعة غريبة في بلاد شاسعة واسعة، وانتشرت سلطته على القبائل المتبربرة فأصاب فوزاً عظيماً)[1].

هذه صور توسُّعات الإسلام الذاتية في العصر الحديث كما يصورها عدد من المراقبين الغربيين، ترسم طبيعة هذا الدين وقدرته على الإنتشار في مواجهة التحديات التي تعرض من خلال جائحة الإستعمار التي واجهت القارة الإفريقية في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر الميلادي.

العهد الذهبي للإسلام جنوب الصحراء:

[1] أنور الجندي – مرجع سابق – ص (١٥١).

في الوقت الذي كانت فيه أوروبا المسيحية تستنزف غرب إفريقيا من قواها البشرية كان الحزام السوداني يعيش عصره الذهبي في ظل نهضة إسلامية نشأت في ظلّها أعظم الممالك التي عرفتها إفريقيا، ففي أواخر القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر تحوَّل ملوك سنغاي ومالي إلى الإسلام وحدثت نهضة عظيمة في كل منهما تحت ملوك مثل نمركيا محمد في سنغاي ومنزا موسي في مالي، وقد حجَّ كلاهما إلى مكة ولفتا الأنظار بثرائهما وعظمة ملكهما.

وفي أواسط القرن السابع عشر بدأت قبائل الفلاني الرعوية التي اعتنقت الإسلام وانتشرت في أواسط الحزام السوداني تعلن الجهاد ضد الملوك الوثنيين الذين فرضوا عليهم الأتاوات والضرائب الباهظة، وسرعان ما استولوا على السلطة وأقاموا أماراتهم ثم ممالكهم محل دويلات الهوسا، وكان من أبرزهم الشيخ عثمان دانفوديو وابنه محمد بيلو وهما زعيمان مشهود لهما بالعلم والتقوى والكفاءة.

وفي السودان اعتلى أول مسلم العرش في مملكة المقرة في عام ١٢٥١م، وفي عام ١٥٠٤م حلَّ تحالف الفونج والعبدلاب المسلمين محلَّ الهمج المسيحيين ملوك علوة وأقاموا دولة الفونج الإسلامية التي انتشرت فيها مدارس العلم ومساجد القرآن، وازدهرت الحِرف والصنائع وسجلت إنتصارات عظيمة ضدَّ حكام إثيوبيا المسيحيين.

وفي شرق إفريقيا وعلي طول الساحل . فيما يعرف الآن بالصومال وكينيا وتنزانيا . أقام الخليجيون المسلمون عرباً وفرساً مستوطنات كانت بدايتها في القرن التاسع ولكنها في القرن الثالث عشر أصبحت مجتمعات مزدهرة تقوم على تجميع المنتجات الإفريقية خاصة العاج وخام الحديد وتصديرها إلى البلاد الإسلامية والهند، وفي أواخر القرن الخامس عشر سيطر البرتغاليون على هذه المنطقة الإستراتيجية على الطريق إلى الشرق الأقصى حتى أجلاهم العثمانيون منها في نهاية القرن السابع عشر، وبعدها أقام بنو سعيد سلطنة زنزبار التي أصبحت المركز الرئيسي للتجارة في غرب المحيط الهندي وأقامت شبكةً تجاريةً داخل إفريقيا امتدت إلى أواسطها.

وهكذا تعامدت مع نهضة أوروبا المسيحية في القرن الخامس عشر موجة إسلامية ثانية انتظمت الحزام السوداني الإفريقي من غربه إلى شرقه وذلك في الوقت الذي كان فيه المدُّ الإسلامي في آسيا وشمال إفريقيا في انحسارٍ واضحٍ في حين نشطت الممالك وبسطت سيطرتها على أهمِّ مواقعه(1).

حاجة الأمة الإفريقية المسلمة للدَّعم:

تحتاج الأمة الإفريقية . أكثر من أي وقت آخر . إلى الدَّعم وهي تعاني من انحسار مواردها القومية وتدني إنتاجاتها بفعل الظروف الطبيعية من شحِّ الأمطار، وما تبعه من جفافٍ وتصحُّرٍ، إضافةً إلى فشل المشاريع التنموية في معظم هذه الدول بسبب تورطها في استجلاب المعدات العالية التقنية، والعالية الثَّمن، مع ضعف الكوادر التي تقوم عليها و الإلتزامات المالية للدول الغربية الدائنة، ممَّا جعلها رهينةً لهذه الدول وذلك في جوهره استعمارٌ بشكلٍ جديد.

في مثل هذا الوقت الذي تحتاج فيه الدول الإسلامية في إفريقيا إلى دعم إخوانهم في العالم الإسلامي والعربي، تنحسر هذه المساعدات ويصبحون نهباً مباحاً للحركات التبشيرية التي تقدِّم لهم الدواء في مستشفياتهم، وتقدِّم لهم الطعام في ملاجئها، إلى جانب الخدمات الأساسية في المياه والمدارس وما إليها، وبذلك لا تكسب الأرواحيين وغير المسلمين فحسب، بل تكسب كثيراً من المسلمين المحتاجين. وبذلك يتبدَّى لهؤلاء المسلمين عجز إخوانهم المسلمين عن نصرتهم، في حين يقدِّم لهم المسيحيون الدَّعم وقت حاجتهم إليه. يقول المصدر النصراني عن ذلك: (لقد أصبح من المعروف الآن في معظم تلك المناطق أن النصارى قومٌ ملتزمون بكلمتهم ويمكن الوثوق بهم وسوف تجد الكثير من المسلمين الذين يقولون لك: إنَّ مايقوله النصراني صحيح..)(2).

---

(1)محمد هاشم عوض - مصدر سابق – ص ص (٤٩ ، ٥٠) .

(2)عون الشريف قاسم –الصراع الإسلامي المسيحي في إفريقيا – مجلة دراسات افريقية – العدد العشرون – مطبعة جامعة إفريقيا العالمية عام ١٩٩٩م – الخرطوم – ص (٥٢).

ومن الواضح أنَّ ما يعانيه المسلمون في كل أقطارهم من اضطراب ٍ في أحوالهم الإجتماعية والثقافية، والسياسية، وهم يواجهون عصر العولمة بأدواته الفاعلة في غزو العقول والقلوب ومعظمهم مستهلك لمنتجاته غير مشترك في تصنيعها، كل ذلك يدعوهم إلى وقفة ٍ يراجعون فيها حساباتهم، ويعيدون النَّظر في مناهجهم التي أدَّت بهم إلى هذا الوضع المزري الذي يهددهم بالذوبان، والفناء في حضارة الغرب الكاسحة.

إنَّ قضايا المسلمين لا يمكن حلُّها إلا بجهد ٍ مشترك ٍ بين المسلمين جميعاً ممَّا يقتضي التوحُّد على المستوي الإقليمي وصلاً إلى التوحد على مستوى العالم، وسبيلهم إلى ذلك ابتكار مؤسسات ٍ ذات فعالية يسهم فيها أكبر عدد من المسلمين بالتمويل والإدارة لمواجهة الزحف الغربي ّ في مجالات الدعوة،الإعلام، التربية، وتقديم المعونات المادية و المعنوية للمحتاجين على مستوى العالم، مع الإستفادة من تجارب المبشِّرين الذين تدعمهم دول الغرب مجتمعة ً من خلال مؤسساتها الكنسية المعروفة مثل اتحاد الكنائس العالمي وغيره من المؤسسات الكبرى، وهم في نشاطهم يركزون على تلبية احتياجات المحتاجين ولايكتفون بمجرد الدعوة والتبشير كما يفعل كثير من المسلمين[1].

الخاتمة :

دخل الإسلام في إفريقيا منذ أوائل الدعوة وكانت إرهاصاته قبل الهجرة حين احتمى بعض مسلمي مكة بنجاشي الحبشة كما هو معلوم عن الهجرة الأولي، ودخل الإسلام مصر منذ حوالي عام ٢٧هـ، ورأينا آثاره في السودان منذ عام ٣١هـ في مسجد دنقلا الذي ورد ذكره في معاهدة البقط بين عبدالله بن أبي السرح وملك دنقلا النوب،ي وقد أدى إنتشار الإسلام إلى سقوط مملكة المقرة بعد حوالي خمسة قرون، وبعد حوالي القرنين والنصف من ذلك سقطت مملكة علوه وقامت للإسلام

[1] عون الشريف قاسم – مرجع سابق – ص (٥٢).

دولة في وسط إفريقيا بعد حوالي لثلاثة عشر عاماً من سقوط الأندلس في أيدي الفرنجة.

وكان الإسلام قد عمَّ شمال إفريقيا منذ منتصف القرن الهجري الأول، وبدأ زحفه من العمق الإفريقي وانتهى بقيام الدول الإسلامية في غانا (القرن الرابع حتي السابع الهجري) ومالي (من القرن السابع حتي العاشر)، السنغاي (القرن العاشر الهجري)وامتدَّ أثر الإسلام إلى معظم دول غر ب ووسط إفريقيا لما يعرف الآن بنيجيريا، النيجر، الكمرون، إفريقيا الوسطي، تشاد وما إليها، إلى جانب المناطق القديمة في غانا، مالي، السنغال وما إليها[1].

وكان للاسلام انتشاره الواسع في القرن الافريقي[2]في إثيوبيا وإرتريا والصومال وموزمبيق، وماجاورها في الجنوب الإفريقي، بحيث جري القول في منتصف القرن العشرين بأنَّنا نكاد نجد بين كل ثلاثة أفارقة إثنين من المسلمين،وصحَّ في وجدان المسلمين وحسابهم أنَّ إفريقيا قارة الإسلام، وكان الإسلام في الواقع ينتشر في إفريقيا إنتشار النار في الهشيم كما عبرَّ عنه كثير من المراقبين[3] .

المراجع :

١. إبن بطوطة، أبوعبد الله محمد بن إبراهيم، تحفةالأنظار، ص (٦٩٠).

٢. إبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، عام ١٩٦١م ج٦ ص ص (٧٧ ، ٤١٥).

٣.أبو عبد الله البكر ي، المغرب في ذكر إفريقيا وبلاد المغرب، الجزائر، عام ١٩٧٥م ص ص (٢٧ ، ١٧٩).

[1]انظر ارنولود – الدعوة الي الإسلام (طبعة لاهور الانجليزية) الصفحات (٣١٢- ٣٦٢) . من عون الشريف قاسم – الصراع المسيحي في إفريقيا – مجلة دراسات افريقية بجامعة إفريقيا العالمية _ الخرطوم _ العدد العشرون

[2]رنجهام _ الإسلام في شرق إفريقيا وكتابات حسن مكي عن القرن الافريقي .

[3]عون الشريف قاسم – الإسلام والبعث القومي – الصفحات (٨٥ – ١٠٠).

٤. إبراهيم على طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٧٥م ص ص (٢٦- ٢٩).

٥. أحمد الياس حسين، طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية جنوبي بالصحراء الكبرى في المصادر العربية، مجلة دراسات إفريقية، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، العدد (٢)، ص (١٠٧).

٦. أحمد الياس حسين، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى كما عرفها الجغرافيون العرب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة الأم، ص ص (١٢٧ ، ٣٩٢) من أحمد الياس، مرجع سابق، ص (٧٠).

٧. الأمين عبد الكريم، الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية في إثيوبيا، مجلة دراسات إفريقية العدد الأول، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم ص (٤٩).

٨. اليعقوبي، أبوبكر أحمد إبراهيم، تاريخ اليعقوبي، بيروت، عام ١٩٦٠م، ص (١٩٣).

السير وأخبار الأئمة، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم (٩٠٢٠)، من أحمد الياس، مرجع سابق، ص (١١٤).

١٠. العمري شهاب الدين بن أحمد، مساللك الأبصار في مماللك الأمصار، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٢٥٢٨)، تاريخ ورقة (٤٩٤)، من أحمد الياس، مرجع سابق ص (٦٨).

١١. القلقشندي، أبو عباس محمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٥ ص ص (٢١٠،٢١١).

١٢. جمال حمدان، الإسلام في إفريقيا، مجلة المجلة نوفمبر ١٩٦٣م .

١٣. دونالد.ل. وايدنر، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ج١، مؤسسة سجل العرب عام ١٩٧٦م، ترجمة شوقي الجمل وآخرون، ص (٢).

١٤.هر بر ونشان، الديانات في إفريقيا السوداء، من أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، عام ١٩٧٩م، ص (١٤٨).

١٥. حسين إبراهيم حسين، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، عام ١٩٨٤م، ص (٢٢٥).

١٦. ياسر عبد القادر، التغلغل الصهيوني في إفريقيا، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر الخرطوم، عام ١٩٩٨م، ص (١٩).

١٧. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٧، ص (٢١٠ ، ٣٠٢).

١٨. يوسف فضل حسن، التعاون العربي الإفريقي، بيروت، عام ١٩٨م، ص (١٣).

١٩. كمال محمد عبيد، آفاق الاستثمار الثقافي في إفريقيا، من الانترنيت، موقع شبكة المشكاة الإسلامية، عام ١٤٢٥هـ، ص ص (٦،٥).

٢٠. كراتشكوفسكي أ ، ي، تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة صلاح الدين عثمان، القاهرة عام ١٩٦١م، القسم ١، ص ص (٢٠٠ ، ٢٠٤).

٢١. لوت هنري، الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية عام ١٩٧٩م، ص (١٠٧٨).

٢٢. محمد الأمين السنقيطي الجكني، رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، دار الشروق، جدة عام ١٩٨٣م، ص ص (٢٥٤، ٢٥٥).

٢٣. محمد هاشم عوض، مراحل وأساليب انتشار الإسلام والمسيحية في إفريقيا، مجلة دراسات إفريقية، العدد (١٥)، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم، عام ١٩٩٦م ص ص (٤٥، ٤).

٢٤. محمد سالم الصوفي، جيبوتي والمصالح الصومالية، مركز الخليج للخدمات الإعلامية، الدوحة عام ٢٠٠١م .

٢٥. محمد عبده مخلوف، مجلة نهضة إفريقيا، عام ١٩٥٧م.

٢٦. محمد صالح أيوب، جماعات التحديث الاجتماعي في وسط إفريقيا، المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر، طرابلس، عام ١٩٩١م.

٢٧محمود كعت، تاريخ الفتّاش من أخبار المدن والجيوش وأكابر الناس، عام ١٩٦٢م ص (١٧٨).

٢٨. نور الدين حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ، المطبعة المصرية، عام ١٩٦٤م ص ص (٢٦٠، ٢٦٢).

٢٩. سِيرَ أبي الربيع، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم (٩١١٣)، من أحمد الياس، مرجع سابق ص (١١٤).

٣٠. عون الشريف قاسم، الصراع الإسلامي المسيحي في إفريقيا، مجلة دراسات إفريقية العدد (٢٠)، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم عام ١٩٩٩م، ص (٥٢).

٣١. عبد الرحمن بدوي، مجلة نهضة إفريقيا، من أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، عام ١٩٧٩م ص ص (٢٥٤، ٢٥٥).

٣٢.عبد الرحمن أحمد عثمان، المؤثّرات الإسلامية المسيحية على الثقافة

السواحيلية، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم، عام ٢٠٠١م، ص (٥٠).

٣٣. علي عبد الله الخاتم، الإسلام في السودان الغربي، مجلة دراسات إفريقية، العدد الأول، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم، الصفحات (١٨٩، ١٩٠، ١٩١).

٣٤. روبرت سميث، (Mohamed Morpmmedtions)، من أنور الجندي، مرجع سابق ص (١٤٩).

35. Polmer. Bornu Sahara and Sudan London - 1936 - P.7.

36. Trimingham. J,S: Ahistory of Islam in West Africa - Oxford - 1970 - P.48.

37. M.Kkalirpa Remarks on the unidentified Cosmography (Tuhfat AL. Garaib) Falio Orienala.